

سلسلة

قصص في الأخلاق

١٥

منتدى اقرأ الثقافي

www.igra.afilamontada.com

قصص في الصبر

عبد العزيز سيد هاشم



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة قصص الأخلاق

١٥

قصص في

الصَّابِر

إعداد

عبد العزيز هاشم



الموضوع : الآداب (القصص)

المنوان : قصص في الصبر

إعداد : عبد العزيز هاشم

عدد الصفحات : ١٦

قياس الصفحات : ٢٠×١٤

رقم التسلسل : ٥٩



دار الغوثاني للدراسات القرآنية

جميع الحقوق محفوظة

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+

algwthani@scs-net.org

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

قِصَصٌ فِي الصَّبْرِ

صَبْرُ الْفُقَرَاءِ

خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَهَاجَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. فَكَانَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ضَعِيفًا لَا يَقْدِرُ عَلَى الْعَمَلِ، وَلَيْسَ لَهُ دَارٌ يَسْكُنُهَا، وَلَا مَأْوَى يَأْوِي إِلَيْهِ، فَكَانُوا يَنَامُونَ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَتَحَمَّلُونَ الْجُوعَ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ وَالْأَيَّامِ يَتَبَدَّدُ عَنْهُمْ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، دَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ الْفُقَرَاءَ جَالِسِينَ: وَأَحَدُهُمْ يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَهُمْ يَسْتَمِعُونَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ ﷺ سَكَتَ الْقَارِئُ، فَسَأَلَهُمْ ﷺ: «مَا كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَانَ قَارِئُ لَنَا يَقْرَأُ عَلَيْنَا، فَكُنَّا نَسْتَمِعُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ.

فَقَالَ ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ أَمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ». ثُمَّ جَلَسَ بَيْنَهُمْ وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ لِيَلْتَفِتُوا حَوْلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ صَعَالِكِ الْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ! بِالنُّورِ النَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِ النَّاسِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَذَلِكَ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ».

أَحَدٌ أَحَدٌ

كَانَ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي
الإسلام، ووَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ تَبَتُّوا عَلَى الْحَقِّ وَتَحَمَّلُوا مِنَ الْعَذَابِ مَا لَا
يَحْتَمِلُهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ صَادِقُ الْإِيمَانِ.

وكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَأْخُذُونَ بِلَالًا فِي وَقْتِ الظَّهْرِ حِينَ اشْتَدَّ الْحَرُّ،
فَيَطْرَحُونَهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي صَحَرَاءِ مَكَّةَ الْمُخْرِقَةِ، وَيَضَعُونَ عَلَى بَطْنِهِ صَخْرَةً
عَظِيمَةً، وَيَجْعَلُونَ السَّقَاءَ وَالْعَبْدَ يَطُوفُونَ بِهِ فِي طُرُقِ مَكَّةَ، وَيَقُولُونَ لَهُ:
لَا تَزَالْ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ؛ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى.

وكَانَ بِلَالٌ صَلَبَ الْإِيمَانِ قَوِيَّ الْعَقِيدَةِ، شَدِيدَ الصَّبْرِ؛ فَهَانَتْ عَلَيْهِ
نَفْسُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَحَمَّلَ كُلَّ الْعَذَابِ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ، وَكَانَ يَرُدُّ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ قَائِلًا: أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. وَظَلَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ حَتَّى اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ
الصَّدِيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَاعْتَقَهُ فَخَلَّصَهُ مِنْ أَدَى الْمُشْرِكِينَ وَعَذَابِهِمْ.

لَا تَسْتَغْجِلُوا

فِي بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.. لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ كَثِيرًا مِنَ الْأَدَى وَالتَّعْذِيبِ
مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَجَاءَ خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَعَهُ بَعْضُ
الْمُسْلِمِينَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ يَشْكُونَ إِلَيْهِ مَا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَيَطْلُبُونَ
مِنْهُ أَنْ يَدْعُو لَهُمْ بِالنَّصْرِ، وَقَالُوا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَارَادَ النَّبِيُّ
ﷺ أَنْ يَعْلَمَهُمْ دَرْسًا فِي الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَتَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ فِي سَبِيلِ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ
اللَّهِ تَعَالَى وَنُصْرَةِ دِينِهِ وَشَرَائِعِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: «قَدْ كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ
الرَّجُلُ، فَيَحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيَوْضَعُ عَلَى

رَأْسِهِ، فَيَجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مِنْ دُونِ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ».

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ ﷺ بِتَبِيعَةِ صَبْرِهِمْ وَتَحَمُّلِهِمْ، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالْخَيْرِ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ! لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ؛ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». فَتَحَمَّلَ الصَّحَابَةُ الْأَذَى وَصَبَرُوا حَتَّى جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ.

الْأُمُّ الصَّابِرَةُ

قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ مَعْرَكَةَ الْقَادِسيَّةِ دَعَتِ الْخُنُسَاءُ بَنَاتُ عَمْرٍو أَوْلَادَهَا الْأَرْبَعَةَ، وَقَالَتْ لَهُنَّ: يَا بَنِي! إِنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ طَائِعِينَ، وَهَاجَرْتُمْ مُخَارِبِينَ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَبَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ كَمَا أَنْتُمْ بَنُو امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، مَا خُنْتُ أَبَاكُمْ وَلَا فَضَخْتُ خَالَكُمْ، وَلَا هَجَنْتُ حَسْبَكُمْ، وَلَا غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ. وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاضُوا بِمَا آتَى اللَّهُ لَكُمْ تَفْلِحُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

سَمِعَ الْأَوْلَادُ نَصِيحَةَ أُمَّهُنَّ، وَدَخَلُوا الْمَعْرَكَةَ وَكُلُّهُمْ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا بِشَجَاعَةٍ وَحِمَاسٍ حَتَّى اسْتَشْهِدُوا جَمِيعًا. وَلَمَّا عَلِمَتِ الْخُنُسَاءُ بِمَقْتَلِ أَوْلَادِهَا قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرٍّ رَحْمَتِهِ. وَهَكَذَا كَانَتْ الْخُنُسَاءُ بِصَبْرِهَا هَذَا مِثَالًا رَائِعًا لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.

صَبْرُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ أَيُّوبُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - غَنِيًّا، عِنْدَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَأَوْلَادٌ كَثِيرُونَ، وَكَانَ قَوِيَّ الْبَدَنِ، سَلِمَ الصَّحَّةَ. فَأَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَتْلِبَهُ وَيُخْتَبِرَهُ؛ فَفَقَدَ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، وَهَجَرَهُ أَهْلُهُ، وَمَاتَ أَوْلَادُهُ، وَأُصِيبَ فِي جَسَدِهِ بِأَمْرَاضٍ شَدِيدَةٍ، وَابْتَعَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِخْوَانُهُ.

فَقَابَلَ أَيُّوبُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كُلَّ هَذِهِ الْإِتِّبَاءَاتِ وَالْمَصَائِبِ بِالصَّبْرِ وَالْإِحْسَابِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِلَّهِ، وَلِسَانَ حَالِهِ يَقُولُ عِنْدَ فَقْدِهِ أَمْوَالِهِ وَأَوْلَادِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ.. الْحَمْدُ لِلَّهِ. وَلَمْ يَنَاسِ أَيُّوبُ أَوْ يَتَضَاقِقْ مِنْ طُولِ مَرَضِهِ وَبَلَائِهِ، بَلْ كَانَ يَتَوَجَّهُ إِلَى رَبِّهِ قَائِلًا: ﴿وَأَيُّوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ أَيْ مَسَى الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿[الأنبياء: ٨٣].

وَبَعْدَ طَوِيلِ صَبْرٍ وَاحْتِسَابٍ كَشَفَ اللَّهُ بَلَاءَ أَيُّوبَ؛ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضْرِبَ الْأَرْضَ بِرِجْلِهِ فَضْرِبَهَا، فَتَبَعَ مَاءٌ بَارِدٌ عِنْدَ قَدَمَيْهِ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ مَرَضُهُ، وَاسْتَرَدَّ عَافِيَتَهُ، وَعَادَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهِمَا.

وَأُنْثِيَ اللَّهُ عَلَى أَيُّوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِصَبْرِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿[ص: ٤٤]﴾. وَهَكَذَا تَتَعَلَّمُ مِنْ أَيُّوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الصَّبْرَ، فَهُوَ خَيْرٌ مَثَلٍ وَقُدْوَةٍ لِلصَّابِرِينَ.

أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ

مَرَضَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَجَاءَهُ الرَّسُولُ ﷺ يَزُورُهُ، وَقَالَ لَهُ: «لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ مَرَضِكَ هَذَا بَأْسٌ، وَلَكِنْ كَيْفَ بِكَ إِذَا عُمِّرْتَ بَعْدِي فَعَمِيتُ؟!».

فَقَالَ زَيْدٌ: إِذَنْ أَصْبِرَ وَأَحْتَسِبَ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَنْ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

وَبَعْدَ أَنْ مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ أُصِيبَ زَيْدٌ بِالْعَمَى؛ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ. وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ شَفَاهُ اللَّهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ بَصَرُهُ.

وَهَكَذَا يَكُونُ جَزَاءُ كُلِّ مَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَصْبِرْ عَلَى قَضَائِهِ أَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّكُمْ مَنْ يَتَّقَى وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:

٩٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا

صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧].

صَبْرٌ وَحِكْمَةٌ

كَانَ لِأَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَزَوْجَتِهِ أُمِّ سُلَيْمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
ابْنٌ صَغِيرٌ، وَذَاتَ يَوْمٍ، مَرِضَ هَذَا الطِّفْلُ، فَمَاتَ.
وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ فِي سَفَرٍ، فَقَامَتِ أُمُّ سُلَيْمٍ يَتَجَهِّزُ ابْنُهَا وَلَمْ تُخَيِّرْ
أَحَدًا بِذَلِكَ.

وَلَمَّا عَادَ أَبُو طَلْحَةَ سَأَلَ زَوْجَتَهُ عَنْ حَالِ الْغُلَامِ، فَلَمْ تُفَاجِئْهُ
بِالْخَبَرِ، وَقَالَتْ لَهُ: قَدْ هَدَاتِ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاحَ. ثُمَّ
قَدَمَتِ الْعِشَاءَ لِزَوْجِهَا، فَأَكَلَ ثُمَّ تَزَيَّنَتْ لَهُ، وَقَضَى مَعَهَا لَيْلَةً كَأَنَّهُمَا
عَرُوسَانِ.

وَفِي الصَّبَاحِ قَالَتْ لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا
أَعَارُوا أَهْلَ بَيْتِ عَارِيَةٍ (سُلْفَةً)، فَطَلَّبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْتَنِعُوهُمْ؟
فَقَالَ لَهَا: لَا؛ لَيْسَ لَهُمْ ذَلِكَ، إِنَّ الْعَارِيَةَ مُؤَدَّاءٌ إِلَى أَهْلِهَا. فَأَخْبَرَتْهُ
بِمَوْتِ ابْنِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ.

فَذَهَبَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَدَثَ. فَقَالَ لَهُ
الرَّسُولُ ﷺ: «لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا».

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دُعَاءَهُ، فَوَلَدَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ طِفْلًا آخَرَ،
فَجَاؤُوا بِهِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فَمَضَغَ ثَمَرَةً، وَاخَذَ مِنْهَا جُزْءًا، وَوَضَعَهُ فِي
فَمِ الطِّفْلِ، وَسَمَّاهُ: عَبْدَ اللَّهِ. وَبَارَكَ اللَّهُ فِي هَذَا الطِّفْلِ، فَخَرَجَ مِنْ
نَسْلِهِ تِسْعَةُ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ حَفِظَ الْقُرْآنَ.

الصَّدْمَةُ الْأُولَى

كَانَ لَامْرَأَةٍ وَلَدٌ، فَتَوَفَّاهُ اللَّهُ. وَذَاتَ يَوْمٍ، ذَهَبَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَقَابِرِ، وَجَلَسَتْ عِنْدَ قَبْرِ ابْنِهَا، وَأَخَذَتْ تَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا. وَبَيْنَمَا هِيَ تَبْكِي وَتُتَوَحُّ، مَرَّ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهَا: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي».

وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ لَا تَعْرِفُ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَلَمَّ تَسْتَجِبْ لِكَلَامِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: إِلَيْكَ عَنِّي (ابْتَعِدْ)، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي.

فَتَرَكَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَمَضَى.

فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ: أَمَا تَعْرِفِينَهُ؟! إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: مَا عَرَفْتُهُ.

وَشَعَرَتْ بِخَجَلٍ شَدِيدٍ وَحَيَاءٍ وَمَهَابَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَهَبَتْ مُسْرِعَةً لَتَعْتَذِرَ إِلَيْهِ.

وَلَمَّا اقْتَرَبَتْ مِنَ الْبَيْتِ لَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَائِينَ وَلَا حُرَاسًا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَعْرِفْكَ.

فَبَيَّنَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الصَّبْرَ الْكَامِلَ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْأَجْرُ هُوَ صَبْرُ الْمَرْءِ عِنْدَ وَقُوعِ الْمُصِيبَةِ، وَقَالَ لَهَا: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى».

صَبْرٌ وَرَحْمَةٌ

دَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ فَوَجَدَهُ يَحْتَضِرُ، فَبَكَى الرَّسُولُ ﷺ، وَجَرَّتِ الدَّمُوعُ مِنْ عَيْنِهِ، وَظَنَّ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ رِقَّةَ الْقَلْبِ وَدَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ عِلَامَاتِ الْجَنَنِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَبَيَّنَ لَهُمْ ﷺ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، فَقَالَ: «يَا بَنُ عَوْفٍ! إِنَّهَا رَحْمَةٌ، إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ».

وَذَاتَ يَوْمٍ، أُرْسِلَتْ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ تَقُولُ: إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأَتْنَا. فَأُرْسِلَ إِلَيْهَا ﷺ مَنْ يَقْرِئُهَا السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَهَا: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ».

فَاصْرَتَ عَلَى أَنْ يَأْتِيَهَا ﷺ. فَقَامَ ﷺ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَغَيْرُهُمْ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى بَيْتِهَا، وَلَمَّا رَأَى ﷺ الصَّبِيَّ وَهُوَ يَمُوتُ بِكَى، وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ بِالدَّمُوعِ فَقَالَ سَعْدُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا هَذَا؟ فَقَالَ ﷺ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ».

صَبْرُ وَجَنَّةٍ

خَرَجَ حَارِثَةُ بْنُ سُرَّاقَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَعَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقُتِلَ شَهِيدًا.

وَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةٍ؟ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ وَاحْتَسَبْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهِدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ.

فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ! إِنَّهَا لَيْسَتْ بِجَنَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى».

فَقَالَتْ أُمُّ حَارِثَةَ: بَخْ بَخْ يَا حَارِثَةَ. (بَخْ: كَلِمَةٌ تُقَالُ عِنْدَ الرِّضَا وَالِإِعْجَابِ).

وَرَجَعَتْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ صَابِرَةٌ مُحْتَسِبَةٌ رَاضِيَةٌ بِدُخُولِ ابْنِهَا حَارِثَةَ الْجَنَّةِ.

قَبْلَ الْحِسَابِ

يُرَوَّى أَنَّهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.. حِينَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ كُلَّهُمْ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، يَنَادِي مُنَادٍ: أَيْنَ الصَّابِرُونَ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ قَبْلَ الْحِسَابِ؟

فَيَقُومُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَتُقَالُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَتَقُولُ لَهُمْ: إِلَى أَيِّنَ يَا نَبِيَّ آدَمَ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَى الْجَنَّةِ. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: قَبْلَ الْحِسَابِ؟!

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَتَسْأَلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: وَمَنْ أَنْتُمْ؟

فَيَقُولُونَ: نَحْنُ الصَّابِرُونَ.

فَسَأَلَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: صَبَرْنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ،
 وَصَبَرْنَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، حَتَّى تَوْفَانَا اللَّهُ.
 فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: أَنْتُمْ كَمَا قُلْتُمْ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ.
 وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

صَبْرٌ وَحْيَاءُ

ذَاتَ مَرَّةٍ، سَارَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 - مَعَ تَلْمِذِهِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعَطَاءٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ
 أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ عَطَاءٌ: بَلَى. فَأَشَارَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى امْرَأَةٍ طَوِيلَةٍ سَوْدَاءَ،
 وَقَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ.

ثُمَّ رَاحَ يَقْصُ عَلَيْهِ قِصَّتَهَا، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهَا إِحْدَى الصَّحَابِيَّاتِ الطَّاهِرَاتِ،
 ابْتَلَاهَا اللَّهُ بِمَرَضٍ الصَّرْعِ فَذَهَبَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَتْ لَهُ: إِنِّي أَصْرَعُ،
 وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ
 الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَعَافِيكَ». فَاخْتَارَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةَ أَنْ
 تُصْبِرَ عَلَى مَرَضِهَا مَا دَامَ جَزَاءُ صَبْرِهَا الْجَنَّةَ، وَقَالَتْ: أَصْبِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.
 لَكِنْ مَلَاسِهَا كَانَتْ تَتَكَشَّفُ حِينَ يَأْتِيهَا الصَّرْعُ، فَقَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي
 أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَلَّا أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا ﷺ. وَهَكَذَا صَبَرَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى
 مَا أَصَابَهَا مِنْ مَرَضٍ الصَّرْعِ، إِلَّا أَنْ حَيَاءَهَا مَنَعَهَا أَنْ تُصْبِرَ عَلَى أَنْ يَتَكَشَّفَ
 جُزْءٌ مِنْ بَدَنِهَا، فَطَلَبَتْ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَتَهَا فَلَا
 يَظْهَرُ مِنْ بَدَنِهَا شَيْءٌ، وَهَكَذَا الْمُؤْمِنُ دَائِمًا صَبُورٌ حَيٌّ.

دَرْسٌ فِي الصَّبْرِ

يُحْكِي أَنَّ عُرْوَةَ بِنَ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أُصِيبَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ بِمَرَضٍ خَطِيرٍ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْأَطْبَاءُ بِقَطْعِ رِجْلِهِ الْمُصَابَةِ، وَإِلَّا انْتَشَرَ الْمَرَضُ إِلَى سَائِرِ جَسَدِهِ. فَوَافَقَ عُرْوَةُ، وَقَامَ الْأَطْبَاءُ بِقَطْعِ رِجْلِهِ وَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ.

وَدَخَلَ أَحَدُ أَوْلَادِهِ حَظِيرَةَ الدَّوَابِّ، فَضَرَبَتْهُ دَابَّةٌ؛ فَوَقَعَ مَيِّتًا، وَلَمَّا عَلِمَ عُرْوَةُ بِمَوْتِ ابْنِهِ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ قَائِلًا:

اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي أَطْرَافُ أَرْبَعَةٍ، فَأَخَذْتُ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتُ ثَلَاثَةً، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَكَانَ لِي بَنُونَ أَرْبَعَةٌ، فَأَخَذْتُ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتُ لِي ثَلَاثَةً، فَلَكَ الْحَمْدُ.. وَلَيْنُ أَخَذْتُ لَقَدْ أَبْقَيْتُ، وَلَيْنُ ابْتَلَيْتَ طَالَمَا عَافَيْتَ.

وَهَكَذَا يَضْرِبُ لَنَا عُرْوَةُ مَثَلًا رَائِعًا فِي تَحَمُّلِ الْأَذَى وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ؛ فَقَدْ ابْتُلِيَ فِي بَدَنِهِ بِقَطْعِ رِجْلِهِ فَصَبَرَ، وَابْتُلِيَ فِي أَبْنَائِهِ بِمَوْتِ وَلَدِهِ فَصَبَرَ، فَكَانَ وَاحِدًا مِمَّنْ صَدَقَ فِيهِمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

صَبْرٌ فِي طَاعَةِ

حُجِبَتِ الشَّمْسُ وَحَدَّثَ لَهَا كُسُوفٌ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ،
فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَابَتُهُ يَصَلُّونَ صَلَاةَ الْكُسُوفِ. وَأَطَالَ النَّبِيُّ
ﷺ تِلْكَ الصَّلَاةَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا؛ يقرأُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَرْكَعُ ثُمَّ
يَقُومُ، فَيَسْجُدُ، وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي الرُّكْعَتَيْنِ.

وكَانَتِ السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
مَعَ النِّسَاءِ يُصَلِّينَ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَحَابَتِهِ، وَكَانَتْ تُصَلِّي
إِلَى جِوَارِهَا امْرَأَةً عَجُوزًا وَامْرَأَةً أُخْرَى مَرِيضَةً.

وَشَعَرَتْ السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِالتَّعَبِ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، فَفَكَّرَتْ
فِي الْمَرَأَةِ الَّتِي إِلَى جِوَارِهَا، وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْهَا سِنًا: كَيْفَ تَصْبِرُ
عَلَى أَدَاءِ صَلَاةِ الْكُسُوفِ الطَّوِيلَةِ خَلْفَ النَّبِيِّ، وَتَفَكَّرَتْ فِي
الْمَرَأَةِ الْأُخْرَى الضَّعِيفَةِ الْمَرِيضَةِ الَّتِي تَحْرِصُ عَلَى الصَّلَاةِ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْذُوهَا عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَلَلِ، فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ
فِي نَفْسِهَا: أَنَا أَحَقُّ أَنْ أَصْبِرَ عَلَى طُولِ الْقِيَامِ مِنْهُمَا.

وَهَكَذَا تَحَمَّلَتِ التَّعَبَ وَالْقِيَامَ فِي الصَّلَاةِ، وَصَبَرَتْ عَلَى
طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ.

دُعَاءُ مُسْتَجَابٌ

سَمِعَتِ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَاخْلُفْ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». فَحَفِظَتْهُ جَيِّدًا وَوَعَتْهُ.

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ، تُوفِّيَ زَوْجُهَا أَبُو سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَكَانَتْ تَقُولُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟! وَصَبَرَتْ وَاحْتَسَبَتْ، وَدَعَتْ بِالدُّعَاءِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

وَلَمَّا مَضَى عَلَى وِفَاةِ أَبِي سَلَمَةَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةٌ أَيَّامٍ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَتَكَفَّلَ بِأَيَّتَامِهَا، فَكَانَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَقُولُ: قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ؛ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وَهَكَذَا أَصْبَحَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُمًّا لِلْمُؤْمِنِينَ؛ بِفَضْلِ صَبْرِهَا.

قِصَصٌ فِي الصَّبْرِ

الصَّبْرُ كَلِمَةٌ جَمِيلَةٌ، تَنْزِلُ عَلَى الْقُلُوبِ فَتُعْطِيهَا السَّكِينَةَ وَالْأَطْمِئْنَانِ، وَتَمْنَحُهَا الْقُوَّةَ وَالثَّبَاتَ.

فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَتَحَلَّى الْمُسْلِمُ بِخُلُقِ الصَّبْرِ! وَيَجْعَلَهُ زَادًا لَهُ فِي حَيَاتِهِ عَلَى الدَّوَامِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ».

وَيَجْدُرُ بِنَا حِينَ نَقْرَأُ قِصَصَ الصَّبْرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنْ نَقِفَ عِنْدَهَا وَنَتَأَمَّلَهَا، فَتَقْتَدِيَ بِهَا وَنَتَأَسَّى بِأَصْحَابِهَا؛ حَتَّى نَكُونَ مَعَهُمْ، وَنُخْشَرَ فِي زُمْرَتِهِمْ.

وَلِيُخْرِصَ كُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الصَّبْرَ خُلُقًا لَهُ عَلَى الدَّوَامِ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

سلسلة قصص في الأخلاق

- ١ - قصص في الأُخْلاص ١١ - قصص في الرُحمة
- ٢ - قصص في الأمانة ١٢ - قصص في الشجاعة
- ٣ - قصص في الإيثار ١٣ - قصص في الشُّكر
- ٤ - قصص في البِر ١٤ - قصص في الشُّورى
- ٥ - قصص في التَّعاون ١٥ - قصص في الصَّبْر
- ٦ - قصص في التَّواضع ١٦ - قصص في الصَّدق
- ٧ - قصص في التَّوكل ١٧ - قصص في الطَّاعة
- ٨ - قصص في الحُب ١٨ - قصص في العَدل
- ٩ - قصص في الحِلْم ١٩ - قصص في العَفْو
- ١٠ - قصص في الحياء ٢٠ - قصص في الكرم
- ٢١ - قصص في الوفاء